عمارة القدس ومكانتها في الفنون الإسلامية

أ.د. محمد علي حسن زينهم*

إن التحديات التي تعيشها الأمة العربية والإسلامية في سعيها لتأكيد هويتها الحضارية ــ في ظل الالتباس والأفكار المتناقضة والإسقاطات المعادية له ــ كل ذلك يجعل من الفنانين والمؤرخين ضرورة البحث والتأكيد على هوية العمارة والفنون الإسلامية كإرث حضاري ويجعلها موضوعاً معاصراً ومستقبلياً يتطلب جهداً بحثياً وتطبيقاً مستمراً لتوثيقها وتأكيدها وفلسفتها

وهذا المؤتمر يؤكد على القدس ومكانتها في الدين والتاريخ مما يجعلنا كمتخصصين نساهم في التأكيد على فنون وعمارة القدس الإسلامية من منطلقاتها الجمالية والفلسفية التي تحكم خصائصها وأساليبها ومسارها الإبداعي النابع من رؤيا عقائدية شاملة، تتجلى في لغة فنية قائمة بذاتها، فالمتأمل لمسار الفن الإسلامي عبر القرون يلمس شواهد تكشف عن وحدته وأصالته، والعمارة والفنون الاسلامية شكلتها وحددت مساراتها الإبداعية عدة روافد منها **القيم العقائدية والتفاعلات الحضارية والمؤثرات البيئة والاجتماعية**، فالشكل في العمارة يفرزه المضمون وتجسده مواد البناء وطرق الإنشاء وتحكمه القيم الفنية المتوارثة.

وعمارة القدس تتميز بطابعها الإسلامي خاصة في مسجد قبة الصخرة. فالقدس قبلة المسلمين الأولى وثالث الحرمين الشريفين وإن الحفاظ على عمارتها وتراثها ومقدساتها ينبغي أن تكون لها أولويات عند الباحثين وأن تسخر لها الأقلام حتى يتم تحريرها. ومكانة القدس ومقدساتها لما تحويه من عمارة وتراث وفن فيجب المحافظة عليها من الغزاة والغاصبين الذين يهدفون إلى طمس هذه الحضارة. وقد يفيد البحث في التعرف على المراحل التي مرت بها هذه الحضارة. لحث المسئوليين والمعنيين لوضع تصوراً خاصاً لترميمها والمحافظة عليها حتى تبقى معالمها ومدينتها الإسلامية مميزة.

والبحث قد حدد ملامح الفنون والعمارة الإسلامية بمدينة القدس في الآتي: **مخالفة الطبيعة**: تأكيد لمدلول اللامحاكاة الذي لا يهتم بنقل الطبيعة، ويهتم بخلق أشكال جديدة. **التبسيط والتسطيح والتجريد**: نتيجة للعقيدة الوحدانية الراسخة في روحه والابتعاد عن تشبيه الشيء بذاته وإعادة ترتيبه لمفهوم الطبيعة . **ملء الفراغ**: في العمل الفني بعناصر كثيفة، وفسر أكثر النقاد هذا العمل على أن الدافع فيه هو الفزع من الفراغ. **المنظور الروحي**: الاهتمام في الرسم والتصوير بعدم مضاهاة الله في خلقه فدرج على عدم تصوير البعد الثالث والتعبير عنه لأنه يعني المضمون الروحي

* أستاذ ورئيس قسم بكلية الفنون التطبيقية ــ جامعة حلوان ــ القاهرة

للأشياء. والإبداع الفني الإسلامي من خلال **الخط الهندسي والشكل المستوحى من الطبيعة، والحرف العربي** في الكتابة كزخرف تشكيلي من خلال الاهتمام **بمبدأ المضمون**: فالمضمون الإسلامي تعبير شامل لكل ما يرتبط بالعمل المعماري شكلاً ووظيفة. مع استرجاع مستمر للتعاليم والقيم الإسلامية. **مبدأ الوسطية:** كمنهج إسلامي اقتصادي يرتبط بكل جوانب الحياة وقد اوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بالاعتدال في كافة شئون المسلم. فالوسطية كمقياس كمي وكيفي للعمل التصميمي يمكن تطبيقه في اختيار الخامات والأبعاد وأساليب التنفيذ. **مبدأ الاتقان "التجويد":** الاتقان والتجويد يعدا السمة البارزة للمنطق الجمالي والبنائي في العمارة والفن كما يحس الاسلام عليها . **مبدأ الصدق:** ويكمن في التعبير المعماري عن الحقيقة الوظيفية للبناء الداخلي والخارجي وفي التعبير عن الحقيقة الإنشائية في مواد البناء وصراحة عناصر الإنشاء. ويؤكد البحث على أصالة عمارة القدس وأنشائها ويؤكد على توافق هذه العمارة واشتراكها في وحدة الروح الإسلامية وقيمها ومبادئها تلك الروح التي تتألق في مسجد قبة الصخرة الشامخ بجدرانه وسقوفه وقبابه ونسق أرضيته والثراء الفني الذي يعكس سمو رسالته الإنسانية والحضارية وهي التي تفيض بها المحاريب الجميلة الواقفة في سمو وسلام تنطلق بمعاني الخشوع والرهبة والبهاء والسلام إلى جانب الفسيفساء والزجاج والأعمدة الرخامية وكلها أعمالاً إسلامية ليست لها مثيل في أي من الحضارات الأخرى. فالفنون والعمارة في القدس بناء متكامل مركزه منظومة العقيدة الإسلامية التي تعد مناخاً خصباً للفنان المسلم. وأن المعماري الإسلامي ليس بحاجة إلى الاقتباس والتشابه مع الطرز الأخرى بل لديه من القيم والفكر النابع من العقيدة الكثير.